الخطاب الديني حول التوحيد والشرك وسياسة الواقع

كاتسوهيرو كوهارا (Katsuhiro Kohara)

الكلمات الأساسية

التوحيد، الشرك، الاستشراق، الاستغراب، الوثنية "عبادة الأصنام،" العنف البنيوي.

المستخلص

سأتناول أولاً في هذا البحث الخطاب الدائر حول التوحيد والشرك في اليابان والغرب وأناقش ملامح هذا الخطاب وسماته، ثم أحاول إلقاء الضوء على البنية الثقافية لكل خطاب على حدة في سياق الاستشراق والاستغراب، ومن ثم أقوم بتحديد هوية البنى الدينية من وجهة النظر الإضافية ًللوثنيةً إذ يعتبر تحريم الوثنية "عبادة الأصنام" أمراً أساسياً بالنسبة لمعتقدات الأديان التوحيدية الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، إن الوثنية بهذا المعنى لا تعني فقط عبادة الأشياء المحسوسة بل تعني أيضاً عبادة مفاهيم وصور ابتدعها البشر، يطلق عليها تعبير "الوثنية غير المرئية" ويعاد في الأزمنة الحديثة والمعاصرة تفسير الوثنية من حيث "الإحلال" و"التوسع" و"العكس."

وأخيرا سوف يناقش البحث كيف يمكن للوثنية غير المرئية أن تصبح الأرضية المولدة للعنف البنيوي من خلال الإشارة إلى الأخروية (الإيمان بالأخرويات) والارتقاء (نظرية التطور) وسوف يوحي كيف يمكن أن يحال دون تحول الخطاب الذي يدور حول التوحيد والشرك إلى خطاب حول العنف.

١ الاتجاهات في اليابان وفي الغرب

١-١ الاتجاهات في اليابان

تُسمع التعليقات حول "التوحيد والشرك" بتواتر متزايد، منطلقة من منصات خطابية متنوعة في اليابان، وقد أضحى هذا الاتجاه ملحوظاً بشكل خاص منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول الإرهابية، سأناقش أولاً وقبل كل شيء أنماط من الخطاب الديني حول التوحيد والشرك في اليابان والإرهاصات التي تبدو وراء كل خطاب.

يطرح تاكيشي أوميهارا (Takeshi Umehara) المعروف كرائد في حقل الثقافة اليابانية التعليقات التالية في كتابه الذي نشر قبل هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول: "إنني أؤمن

تماما بأنه كما انتقلت الاتجاهات السابقة في الحضارة من الشرك إلى التوحيد فإن على الحضارة أن تنتقل مستقبلا في الاتجاه المعاكس أي من التوحيد إلى الشرك، إن الشرك مفضل إلى حد كبير على التوحيد إذا كان على العديد من الأجناس أن تتقاسم هذا العالم الصغير."[1]

بالإضافة إلى أوميهارا Umehara يعتبر العديد من خبراء الثقافة اليابانية الشرك متفوقاً على التوحيد، وغالباً ما ينتقد التوحيد في اليابان على أساس أنه سبب الحروب والصراعات ودمار الطبيعة، ومن ناحية أخرى فإننا نسمع من حين إلى آخر أصواتاً تمتدح فهم الطبيعة الموجود في الشرك وفي الإيمان بأن لكل شيء روح كحل لهذه الأنماط من المشاكل، وتعتبر الفكرة القائلة بأن مشاكل الحرب وتدمير الطبيعة يمكن حلها بالتخلص من الفكر التوحيدي ومن خلال عملية التحول نحو "الاقتراب من الشرك" فكرة جد بسيطة وقابلة للفهم لدرجة أن مثل هذه الفكرة أخذت بمجامع قلوب العديد من الناس، إن مثل هذا النمط مقبول بسهولة في اليابان ويعود ذلك بشكل جزئي إلى المناخ الاجتماعي السائد الذي يجعل من العثور على هوية وطنية واضحة أمراً صعباً، وحتى أوائل التسعينيات (١٩٩٠م) اعتبر الازدهار الاقتصادي والوفرة المادية مؤشرات موثوقة عن القيم، لكن بما أن مثل هذا الاستقرار مفقود فإن القيم الروحية والتقليدية يعاد تقويمها، وهو ما يعتبر عملا مضادا من أعمال العصر، كما أن الإشارة إلى مثل هذه القيم أمر مقبول باستحسان أكبر.

اتفق أن كتابا من بين الكتب التي نشرت قبل عام ١٩٩٠م في المقارنة بين الإيمان بوجود الروح في كل شيء والتوحيد كان – بالمناسبة – كتاب كيجي إيواتا Keiji Iwata الشهير: "الآلهة والله: رحلة إلى عالم الإيمان بوجود الروح في كل شيء." أوجد إيواتا مفهوم الآلهة مقابل مفهوم الله، وبحث في صفات الإيمان بوجود الروح في كل شيء و صفات التوحيد واختلافهما من منظور أنثروبولوجي "علم الإنسان،" وفي رأي إيواتا أن مفاهيم "الآلهة" و"الله،" ليست إقصائية بشكل متبادل أبداً، فهو يركز انتباهه بالأحرى على استمرارية مواقفها أو علاقتها التي تقوم على مفهوم الموضعية "الاستمرار والمدى" كما يتجلى في ملاحظته: "إن الفرق بين الآلهة المقدسة بدءاً من آلهة الإيمان بوجود الروح في كل شيء وفي كل ظاهرة حتى إله التوحيد موجود فقط في حركات المؤمنين المادية."[2]

منذ وقت قريب ناقش بعض الباحثين استمرارية التواكب بين التوحيد والشرك، ف Soho Machida على سبيل المثال يتمسك بالقول: "بالرغم من وجود هوة واسعة على ما يبدو، بين التوحيد والشرك فيما يختص بالعقائد والطقوس إلا أنهما ليسا منفصلين انفصالاً تاماً، فهما يتداخلان في معنى "الهوية المناقضة للذات" بالشعور المطلق."[3] ومع هذا فإن ماتشيدا يصف التوحيد على أنه نظرية مبتدأ والشرك نظرية الخبر، ويضعهما بتحليله هذا على طرفي نقيض، يجادل ماتشيدا قائلاً: عند النظر إلى التوحيد والشرك من زاوية أخرى فإنهما يعتبران جد

إقصائيين بشكل متبادل بحيث يتعذر ربطهما الواحد بالآخر ما لم يترتب تحقيق "هوية الـذات المتناقضة بشكل مطلق."

أنا لا أنوي بالطبع أن أستنتج بأن هناك تأكيداً متنامياً على الكتابات القصرية في الدراسات الحديثة العهد مقارنة مع تلك التي أُجريت قبل عام ١٩٩٠م، وذلك بالقيام فقط بفحص هذه الحجج المحدودة،ومع ذلك فعندما ننظر إلى ما هو أبعد من الأعمال الأكاديمية ونركز على الثقافة الشعبية فإن اتجاهاً معيناً يصبح مرئياً بشكل واضح، اسمحوا لي بمناقشة بعض الحالات التي تبرهن على اتجاه كهذا.

يقول Ken Sakamura وهو عالم كومبيوتر معروف جداً في اليابان كونه طور نظام التشغيل TRON المعروف باسم ما أنه يلعب الآن دوراً قيادياً في تشكيل جمعية للشبكات "موجود في كل مكان" يقول بأنه رغماً عن المتعة التي يجدها في معرفة أن كلمة Ubiquitous "موجود في كل مكان" هي في الأصل تعبير مسيحي يعني "الله موجود في كل زمان ومكان" فإن هذا المفهوم يدرك بشكل مختلف في المجتمع الياباني، ويناقش ساكامورا قائلاً:

> إن تعبير "موجود في كل مكان" يستدعي بالنسبة لي صورة آلهة يابانية تقليدية غفيرة العدد، لا إلهاً توحيدياً، آلهة تتواصل مع بعضها البعض من خلال شبكتها الخاصة غير المرئية في كل مكان، وأنا أعتقد أن هذه الصورة أقرب إلى واقع جمعية شبكات حاضرة في كل مكان في المستقبل، إن تعبير "موجود في كل مكان" سوف يصبح سائداً بشكل أكبر لأسباب متنوعة ..... لكن التعبير سوف يتخذ معنى "الآلهة غفيرة العدد الموجودة في كل مكان." لهذا السبب أنا على يقين بأن اليابان سوف تكون قادرة على قيادة العالم في هذا المجال.[4]

تظهر هذه المناقشة بأن بالإمكان إبراز الاختلاف بين الغرب واليابان عبر عقد مقارنة بين التوحيد والشرك حتى في مجال تقنية المعلومات فائقة التأثير، إن تطوير أي تقنية جديدة يتطلب نوعاً من النموذج المتصور قبل أن يتخذ له شكلاً معيناً، إذا كان بمقدور نموذج مشرك أن يلعب دوراً في التشجيع على تطوير تقنيات فائقة التأثير، فإن بوسعنا القول بأن العلاقة بين التوحيد والشرك هي علاقة تنافسية بالمعنى البناء للكلمة، ومن ناحية أخرى يمكن لعدد من الملاحظات ليست بالقليلة حول هذه القضية أن تغذي الحقد وتحث على التحامل، عندما يتم ربطها بهجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول الإرهابية كهذه الملاحظة المبينة أدناه:

"ربما تكون المعركة بين التوحيد والتوحيد الأكثر إثارة للقلق والأكثر أذى في العالم، وأعتقد أن الصراع الجاري بين أمريكا، وهي بلد مسيحي، والعالم الإسلامي هو صراع ينطوي على أعظم التهديدات لمستقبل البشرية، وما يكمن وراء هذا الصراع هو باثولوجيا التوحيد، والتوحيد بصريح العبارة هو مصدر كل الشرور بالنسبة للبشرية، أتمنى لو تتقرض كل الأديان التوحيدية _ اليهودية والمسيحية والإسلام."[5]

مع أن هذه الملاحظة قد أبديت على سبيل المزاح إلا أن مشاعر كهذه قد يشترك فيها عامة الجمهور في اليابان على نطاق واسع، إن وراء أي صراعات وأي حروب طويلة الأمد عدداً من الأسباب بما فيها المواجهات السياسية والاقتصادية والاختلافات في القيم والتقاليد، ورغم هذا فكثيراً ما يستهوينا أن نعزو كلياً صراعات وحروباً كهذه إلى اختلافات دينية لأن فعل ذلك يجعل الوضع يبدو أكثر بساطة.

يمكن العثور على تبسيط كهذا أيضاً في كتاب "*Baka no Kabe*" أي "*جدار المغفلين*" لTakeshi Yoro. فهو يكتب قائلاً:

"الإسلام واليهودية والمسيحية هي – في مآل الأمر– أديان تنطوي على وحدانية الكون، لقد شهد العالم العديد من الأخطاء الناشئة عن المقاربة القائمة على الإيمان بوحدانية الكون على مدى المائة وخمسين عاماً هذه، لذا فإنني أتمنى حقاً ألا يكون العالم في القرن الواحد والعشرين عالماً قائماً على فكرة وحدانية الكون، إن ما أطلق عليه "جدار المغفلين" أو الموقف الذي يغفل أي معلومات لا نريدها إنما ينجم عن الإيمان بوحدانية الكون إلى حد ما، ويمكن تشبيه الإيمان بوحدانية الكون وثنويته – حين يوضعان معا في سياق ديني – بالتوحيد والشرك."[6]

إن علماء الدين على اختلافهم يعلمون بأن من الخطأ تصنيف هذه الأديان الثلاثة ببساطة على أنها أديان قائمة على فكرة وحدة الكون، لكن يورو تاكيشي يُصر بشكل خاطئ على أن كل الأديان التوحيدية إنما تنشأ من الإيمان بوحدة الكون ويربطها "بالأصولية" وحالة "الجمود الفكري."

لقد تم التركيز على تفوق الشرك على التوحيد بشكل أكبر منذ بدء الحرب في العراق، وكان مرد ذلك الاعتقاد بأن منطق جورج بوش والتعبيرات الاصطلاحية التي يستخدمها صادرة عن المسيحية كدين توحيدي، وغالباً ما ينظر إلى هذا المنطق التوحيدي على أنه عدو السلام، لكن في هذه الحالة لا تؤخذ تعددية الأديان التوحيدية بما في ذلك المسيحية بالاعتبار أو أنها مغفلة

بشكل متعمد. عند دراسة موضوع ما، فمن المحتمل تماما أن يوجه النقد إلى الموضوع أو يتم ضبطه إذا ما أغفلنا تعدديته وإذا ما أعطيناه صورة ثابتة وهو ما سأناقشه لاحقاً.

إن التعليقات التي كتبت حول التوحيد والشرك عديدة لا تحصى، إلا أن بالمقدور تلخيصها في المجموعات التالية:

١. نظراً لأن اليهودية والمسيحية والإسلام هي أديان تؤمن بإله واحد فقط، فمن المستحيل تجنب الصراعات والصدامات.

٢. يمكن عزو العديد من مشاكل العالم الحديث، مثل الحروب وتدمير الطبيعة إلى التوحيد "الحضارة التوحيدية" وبذلك يتوجب على الشرك الياباني" الحضارة المشركة" أن يتغلب على محدوديات الفكر التوحيدي وأن يسهم في حلول هذه المشاكل.

٣. في حين تعتبر الأديان التوحيدية أديانا إقصائية، ترى نفسها الأقوم والأفضل، تميل إلى الحروب، كما أنها مدمرة للطبيعة، فإن الأديان المشركة هي أديان كلية الاحتواء منسجمة، ودودة وداعمة للتعايش مع الطبيعة.

١-٢ الاتجاهات في الغرب

إن للغرب أيضاً تاريخاً في نقد التوحيد، مع أن النقاط التي نوقشت في الغرب نقاط مختلفة عن تلك التي تضمنها النقد الياباني، ويمكننا هنا الإشارة إلى كتاب Regina M. Schwartz *لعنة قابيل": إرث التوحيد العنيف*،" ويعد هذا الكتاب نموذجا لما كتب مؤخرا، فالمؤلفة تجادل بالقول إن التوحيد مسؤول عن الإرث المديد من العنف في الغرب، وهو ادعاء أثار جدلاً. وفقاً لشوارتز فإن العلاقة بين إيمان التوحيد بآخر تجاوزي هو "الله" وصياغة هوية توحيدية في تعارض مع الآخرين "البشر" هو أصل العنف في التوحيد،[7] وهي تتمسك بأن هوية العنف في التوحيد تعكس رواية في الندرة scarcity وبأن الرغبة بقدر متناه من الهوية مثل الأرض المتناهية هو الذي أدى إلى العنف.[8] لذا تختتم شوارتز بهذه النتيجة: إن "إعادة تصوري قد تنتج كتاباً مقدساً بديلاً يقوض التصور السائد عن العنف والندرة ليعطي نموذجاً أمثل من الوفرة وما يترافق معه كنتيجة طبيعية من الإلزام الأخلاقي بالجود والكرم، قد سيكون كتاباً مقدساً يضم قيماً تعددية بدلاً من التوحيد."[9]

لقد انبثق نقد التوحيد في الغرب خلال عصر التنوير، وقد جادل ديفيد هيوم، David Hume، على سبيل المثال، بالقول إن الشرك، على خلاف التوحيد، يتصف بطبيعة تعددية لا تحدها العقيدة، لذلك فهو أكثر تسامحاً بكثير من التوحيد الذي يميل إلى إرغام الناس على الاعتقاد بإيمان واحد.[10] توصل Niccolo Machiavelli إلى أن الفضيلة المدنية التي يتمتع بها الوثنيون تفوق الفضيلة المسيحية.[11] قد يكون تعبير "وثني" pagan تعبيراً مهيناً يشير إلى مؤمن بالشرك

وعبادة الأصنام، لكن هذا التعبير في هذه الحالة بالذات يمكن أن يُرى على أنه مرادف تقريباً للشرك، كما تمسك جان جاك روسو بأن الإيمان الوثني كدين مدني محبذ بشكل أكبر من المسيحية.[12] إن أكثر المدافعين حمية عن المحاولة للرجوع إلى الهرطقة وجحد إله المسيحية هو Friedrich Wilhelm Nietzsche، ففي حين يتفق نيتشه مع الرأي التوحيدي بأن الهرطقة تعلي من قيمة الغرائز الحيوانية ومذهب الطبيعة والتأليه الذاتي، إلا أنه يرفض وجود إله تجاوزي يدعو إلى إنكار النفس ويختار التعليم الوثني الذي يؤكد على قيمة الذات والحياة على أنه الطريق المرغوب اتباعه.[13]

وهكذا يبدو الخطاب الدائر حول التوحيد والشرك في اليابان مشابهاً جداً لذاك الذي يجري في الغرب، ممثلاً بشوارتز، فالخطابان الياباني والغربي يشتركان في العديد من الاهتمامات المشتركة، وغني عن القول أن كلا منهما يعتبر متجذراً بأصول تاريخية مختلفة، فالخطاب الذي نراه في تاريخ اليابان الحديث قد دعا، من جهة، إلى العودة إلى القيم التقليدية وغالباً ما أمن أرضية إيديولوجية لدعم الرسالة الوطنية لمقاومة النموذج الغربي في الحداثة، إن من المؤكد على الأقل، بغض النظر عما إذا كانت هذه الرسالة قد تحققت بشكل ناجح أم لا من منظور اليوم، بأن الخطاب في تلك الأيام كان موجهاً إلى حركة "ما بعد الحداثة"، ومن الناحية الأخرى ينطلق الخطاب في الغرب بشكل رئيس من عصر التنوير، لذلك نشأ الاتجاه الرافض للقيم التجاوزية، واعتناق التعددية بديلا نتيجة دوافع حديثة يتميز بها عصر التنوير، وقد تعتبر شوارتز على الأرجح أن تفسيرها هو تفسير يتسم بحركة ما بعد الحداثة، ولكن في السياق الغربي لابد من معاملته على أنه الأسلوب المتداول للتيار "الحديث" في النقد بغض النظر عن مدى الخلافية التي قد يتسم بها تفسيرها.

سوف أحاول في الجزء التالي أن ألقي الضوء على المشاكل التي تقبع وراء الاتجاهات في اليابان والغرب والتي تمت مناقشتها للتو وذلك بالتركيز على البنى الثقافية والدينية.

٢ تحول الوثنية وتوسعها

٢-١ صراعات البنى الثقافية – الاستشراق والاستغراب

يمكن رؤية البنى الثقافية التي تنتقد التوحيد وتدعم الشرك من منظور تاريخي بشكل متكرر في تاريخ اليابان الحديث، وهذا يعني بأن فكرة كون الشرق وآسيا واليابان يتخذون دور المساند لقيم جديدة، ونظم أفكار حديثة تتجاوز محدودية الغرب، تظهر ثم تعاود الظهور في دورات تعكس الأزمات المتكررة في الغرب وانحطاطه الروحي والأخلاقي، يشير كتاب إدوار سعيد الاستشراق ١٩٧٨م بوضوح إلى المشاكل المتأصلة في هذه الطريقة من التفكير والتي تضع الشرق والغرب في تضاد واحدهما مع الآخر ضمن جدل ذي بعدين.

يشير الاستشراق في الأصل إلى أسلوبٍ في الأدب والفن ظهر في أوروبا الحديثة له صبغة رومانسية عميقة أو أجنبية، إلا أن سعيداً يعطي هذا التعبير تفسيراً جديداً، فهو يرى الاستشراق كشكل من أشكال السيطرة من جانب الغرب على الشرق قائم على الرأي القائل بأن هناك اختلافاً جوهرياً بين الشرق والغرب، فينظر إلى الشرقيين، على سبيل المثال، على أنهم لا عقلانيون، سوقيون، طفوليون و(أناس غير عاديين) في حين بنظر إلى الغربيين على أنهم عقلاء أخلاقيون، ناضجون و (أناس عاديون).[14] كان المسلمون هم المستهدفون أساسا من هذه الصورة السلبية للشرقيين، وهذا ما أوضحه إدوارد سعيد في كتابه على النحو التالي:

"إن الاعتبار بأن الإسلام يرمز إلى الإرهاب والدمار، وإلى جحافل البرابرة الشياطين المقيتين، لم يأت من عدم، فالإسلام بالنسبة لأوروبا كان بمثابة جرح لا يندمل أبدا.... والفكرة أن ما تبقى سائداً حول الإسلام كان بالضرورة صيغة مخففة من تلك القوى الخطيرة جدا التي رمز إليها الإسلام بالنسبة لأوروبا.[15]

أضحى الإسلام صورة –والتعبير هو لدانييل (Norman Daniel وهو مؤرخ بريطاني متخصص في دراسات العصور الوسطى) ولكن يبدو لي بأن لها مدلولات متميزة بالنسبة للاستشراق بشكل عام_ صورة لم تكن مهمتها تمثيل الإسلام بحد ذاته بقدر ما كانت ترمي إلى تمثيله بالنسبة للمسيحي في العصور الوسطى. يلاحظ إدوارد سعيد بأن إقحام صورة سلبية ثابتة يصبح أداة من أدوات السيطرة، تماماً كما أن الغرب أطلق صورة ثابتة على الشرق من الخارج، (الاستشراق) كذلك الصق الشرق أيضاً صورة ثابتة عن الغرب، يمكن أن نطلق عليها اسم (الاستغراب)، إن العلاقة بين الاستشراق والاستغراب ليست بالطبع علاقة متناظرة ولكن كما يظهر التاريخ الياباني الحديث، فإن محاولة التأكيد على تفوق الشرق على الغرب له شَبَهٌ بنيوي في الاستشراق. فضلاً عن ذلك يمكن الإشارة إلى المقاربة، التي تصف لوحة شخصية خارجية المظهر بأسلوب يتسم بالجوهرية الفكرية من خلال 'تمثيل' مُفصل عن الحقيقة التاريخية الحقيقية، على أنها (الاستشراق المعكوس)[16] وتتضمن بعض الأمثلة الراديكالية عن الاستشراق المعكوس: مشروع اليابان من أجل قيام عالم "شرق آسيوي أعظم من الازدهار التعاوني والجامعة الآسيوية (التي تضم دول آسيا تحت مظلة واحدة)؛ والحركات الوطنية الهندوسية ممثلة بآريا ساماج؛[17] كما أن Arya Samaj و Chundoism و Tonghak وهي أديان جديدة في كوريا تم تأسيسها خلال عملية تحديث البلد.

إذا ما فكرنا بالنقاش الدائر حول التوحيد والشرك في اليابان في هذا السياق، يتضح بأن التوحيد موضوع في مقام الاستغراب بينما الشرك في مقام الاستشراق المعكوس، إن مهمة

التوحيد في الاستغراب لا ترمي إلى تمثيل نفسها بالذات بقدر ما تهدف إلى تمثيل نفسها لليابانيين إذا ما استعرنا تعبيرات سعيد بوصف الشرك في الاستشراق المعكوس على أنه جوهر تجاوزي يبسط أو يوحد أنماط الواقع المتنوعة ويفتقد الخصوصية التاريخية.

٢-٢ الوثنية غير المرئية

إن للصورة الثابتة في الاستشراق تأثيرات مدمرة، كما أن إقحام صورة سلبية يمكن أن ينجم عنه رد فعل عنيف، في العالم الحديث تخضع الصور التي يولدها الاستشراق والاستغراب لإنتاج واسع النطاق عبر تنوع في وسائل الإعلام بما في ذلك شبكة الإنترنت، لكن لا يعتبر توالد الصور بأي حال من الأحوال مشكلة ينفرد بها العالم الحديث، إن آلية هذه المشكلة وطبيعتها تتعلقان "بالوثنية" في عُرف الأديان التوحيدية، وفي هذا القسم أود أن أركز على الوثنية (عبادة الأصنام) كوسيلة لتحليل بنية الخطاب حول التوحيد والشرك بتفصيل أكبر.

كانت الوثنية موضع نقد عنيف في الأديان التوحيدية التي تؤمن بإله مطلق، ولا يعتبر "النهي عن عبادة الأصنام" فقط عُرفا مشتركاً في الأديان التوحيدية الثلاثة؛ بل يمكن للمرء القول بأن هوية هذه الأديان التوحيدية تعتمد على إنكار الوثنية، وبهذا المعنى يمكننا القول إن المعارضة الحقة للتوحيد لا تتمثل في الشرك ولا في الإلحاد بل في الوثنية، ويرتبط النهي عن عبادة الأصنام في الكتاب المقدس العبري "العهد القديم" بالوصية الثانية من الوصايا العشر الموجودة في سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، في حين أن العبادة المحظورة لآلهة أخرى في اليهودية تدعى Avodah Zarah إلا أن هذا النهي لا يقتصر على الأوثان المرئية بالعبرية بيسيل (Pesel)، وكي ندرس مشاكل العالم الحديث علينا أن نفهم الوثنية لا على أنها تخدم أصناماً مرئية بل أيضا "أصناماً غير مرئية" بالمعنى الأعم وتعتبر التعليقات التالية حول هذه النقطة للاهوتي Paul Tillich مُعينة للغاية:

> (إن الوثنية هي رفع شأن عادي إلى الدرجة القصوى، وجعل شأن إقليمي –مشروط بالضرورة– شأنا غير مشروط،ودفع شأن جزئي بالضرورة إلى الكلية بل العالمية، وإعطاء شأن متناه بالضرورة مغزى لا متناه (إن أفضل مثال على ذلك هو الوثنية المعاصرة للقومية الدينية).[18]

كتب تيليش *اللاهوت المنتظم* (*Systematic Theology*) " في عام ١٩٥١م إلا أن أهمية فهم القومية الدينية على أنها عبادة للأصنام قد ازدادت بشكل مؤثر منذ أحداث الحادي عشر من

سبتمبر/ أيلول، ومن الممكن لسائر الناس وسائر الأديان، بحسب ما تنطوي عليه كلمات تيليش، أن يتعرضوا لخطر الوثنية.

لكن أليس من السهل جداً القول بأن ما هو متناه يجب ألا يعطى مغزى لا متناهياً؟ إذا كان بالمقدور تجنب الوثنية بصياغات بسيطة كهذه فلن تشكل الوثنية مشكلة خطيرة بادئ ذي بدء ويلاحظ تيليش خطر جعل الأمة أمة (مطلقة) في حمأة القومية الدينية، لكن بينما نجد أن بوسع "حاكمية الله" أن تتعايش مع الدولة الأمة في الغرب، فإن فكرة الدولة "الأمة" بحد ذاتها تعتبر أحياناً مريبة في العالم الإسلامي، لم يشهد تيليش في حياته أبداً ذاك النهي عن الوثنية المنقى للغاية الذي أضحى أمراً شائعاً بين بعض الإسلاميين المعادين للمجتمع الغربي وقيمه، بهذا المعنى لا يمكننا أن نكتفي بصياغات تيليش، وسوف أناقش في القسم التالي ظواهر الوثنية التي تُشاهد في العالم الحديث والمعاصر.

٢-٣ الخطاب الديني حول الوثنية في العالم الحديث والمعاصر

يناقش Moshe Halbertal وAvishai Margalit في كتابهما *"الوثنية(Idolatry)"* كيف تم تفسير قضية الوثنية في الكتاب المقدس ومن خلال التاريخ الغربي، إنهما يجادلان بأن قضية الوثنية في العالم الحديث والمعاصر قد تمت مناقشتها فيما يتجاوز المجال الديني على أساس أنماط ثلاثة هي: نمط "الإحلال" و"التوسع" و"العكس."[19]

١) نمط الإحلال

بينما تعرف الوثنية في غالب الأحيان على أنها عبادة "آلهة زائفة" (آلهة وثنية) بدلاً من عبادة الله البار، فإن "قيمة ما مثلى" تحل محل "الله البار" في الخطاب الأكثر علمانية حول الوثنية. يناقش Francis Bacon على سبيل المثال مثلاً أعلى في العلوم على أنه بديل (لله البار) وهذا يعني أن علينا، في توخينا العلم الحقيقي، أن نزيل كل الأصنام من أذهاننا تماما كما أن كل الأصنام مرفوضة في عبادة الله الحق، وقد ذكر بيكون أربعة أصنام: "إيدولا تريبوس" أو"أصنام القبيلة (Idola Atribus)" وهي الأصنام المعروفة في البشرية؛ "إيدولا سبيكوس (Idola Specus)،" أصنام المختلى" وهي الأصنام الخاصة بالفرد؛ "إيدولا فوري (Idola Fori)" أصنام السوق" وهي التي تأتي من تأثيرات اللغة على العقل؛ و"إيدولا تياتري (Idola Teatri)" أصنام المسرح، التي تنجم عن النظم الفلسفية الموجودة أو عن المحاكمة العقلية الخاطئة،[20] هذا بينما حاول كارل ماركس من الجهة الأخرى، أن يشير إلى أن الاقتصاد الرأسمالي استطاع أن يحط من القيمة البشرية المتأصلة بالقول: "المال هو إله إسرائيل الغيور الذي لا تقف أمامه آلهة أخرى."[21] إن ما يقف، بالنسبة لماركس، في تعارض مع تأليه المال ليس الإله الحق بل جوهر البشر، وأن ما يترتب اكتشافه بإحساس صادق ليس الله بل البشرية.

يلاحظ في نموذج الإحلال وجود تحول فظيع عن الفهم التقليدي للوثنية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموقف عصر التنوير من حيث محاولة ملء الفراغ الذي احتله الله سابقاً بمفهوم مختلف، إن النهي عن عبادة الأصنام في نموذج الإحلال والذي يعتبر تحذيراً حازماً يميز على أفضل نحو طبيعة الأديان التوحيدية ويعتبر بذلك مرتبطاً ارتباطاً شديداً بالتقاليد الدينية، محروم من معناه الديني ومع ذلك فقد أعطي دوراً خاصاً يلعبه في العالم العلماني.

٢) نمط التوسع

إن غاية هذا النمط هو توسيع معنى الأصنام وتحطيمها بالمعنى الأعم، على خلاف نمط الإحلال الذي جرت مناقشته أعلاه والذي تحل فيه أصنام جديدة محل القديمة ففي نمط التوسع هناك ريبة في أن سائر الآلهة والأفكار هي أصنام، ويعتبر Ludwig Wittgenstein واحدا من المدافعين الذين يمثلون هذا النمط وهو يدعي القول بأن "كل ما بوسع الفلسفة القيام به هو تحطيم الأصنام، وذلك يعني عدم صنع أي أصنام جديدة- ولنقل فرضاً بسبب غياب الأصنام."[22] بهذه الكلمات يوسع فيتغنشتاين معنى الأصنام بمصطلحات فلسفية، في حين يتم توسيع مفهوم الأصنام عند تيليش لاهوتياً.

يعتبر نمط التوسع مهماً للغاية بالنسبة لما يهدف إليه هذا البحث، يعود هذا إلى أن التفسير الموسع للوثنية يسمح بمزيد من المتسع لتحطيم الأصنام، وفي نهاية المطاف لتبرير العنف، مع ذلك فإن استخدام العنف لا ينشأ في الأصل من توسيع معنى عبادة الأصنام بمفرده، إن من الضروري بالأحرى تحديد أي مشكلة بنيوية تتطلب توسيعاً في المعنى، بتعابير دينية وسياسية معاً، إن علينا أيضاً عند مناقشة نمط التوسع أن نعي بأنه لا يعني توسيع التفسير المتعدد الطبقات للنهي عن عبادة الأصنام بكليته، بل هو غالباً توسيع جزء ما من التفسير أو التشديد عليه، إن معنى النهي عن عبادة الأصنام من حيث الجوهر متشعب جداً بحيث لا يطبق عليه تفسير واحد فقط، وينتهي هالبرتال ومارغاليت أيضاً إلى أن من الخطأ إطلاق تعريف وحيد على الطبيعة الجوهرية لعبادة الأصنام.[23] وعليه فإذا تم تبسيط التفسير بالرغم من تعدديته ومن ثم تم توسيعه، فإن علينا أن نتفحص بنظرة ناقدة إمكان صيرورة النهي عن عبادة الأصنام، والذي تم تأسيسه في الأصل كـ"وسيلة" لتحقيق" غاية" خدمة الله بإخلاص، ليصبح هدفاً بحد ذاته.

يعتبر Hiroshi Ichikawa طبيعة عبادة الأصنام Avodah Zarah على أنها تحوير تصبح به "الوسيلة غاية بحد ذاتها،" وهو يتمسك أيضاً بأن الأصنام تتضمن كل المفاهيم والإيديولوجيات التي هي من صنع النشاطات الفكرية البشرية وأن "حالة الحرية في الأديان الإسرائيلية يتم تحقيقها فقط عبر تهديم دائم لمفاهيم كهذه أو بعبارات أخرى عبر الإنكار."[24] وكما تدل عليه هذه الملاحظة فإن نمط التوسع، الذي يمكن أن تطبق عليه الطرق الحديثة والمعاصرة في

التفكير، لا يعتبر بأي حال من الأحوال اختراعاً من اختراعات العصور الحديثة والمعاصرة. إنه بالأحرى يرجع أصلا إلى التقليد التوراتي.[25]

٣) نمط القلب

يقلب هذا النمط التراتبية القائمة بين التوحيد والشرك، في حين يتمسك بعلاقتهما المتصفة بالمواجهة، ويمكن رؤية الحالة الأكثر نموذجية عن هذا النمط في المحاكمة العقلية لهيوم ونيتشه اللذين قدمتهما أعلاه كناقدين للتوحيد في العالم الغربي، يعتبر كل من هيوم ونيتشه أن الشرك أو "الهرطقة" يتفوق على التوحيد، في حين يتم التشديد على قضية "الندرة" إزاء "التعددية" في سياق العنف كما يمكن رؤيته في عمل شوارتز، مع أن نقد شوارتز للعنف التوحيدي لا يرتبط ارتباطاً مباشراً بالتأكيد على الشرك أو الهرطقة إلا أنه بالإمكان تصنيف محاكمتها العقلية في إطار "نمط القلب" نظراً لجهدها المبذول لقلب قيم "التفرد" و"التعدد."

يقع الخطاب حول التوحيد والشرك في اليابان، إذا ما نظر إليه من منظور التاريخ الغربي، في إطار "نمط القلب،" ولكن إذا كان اعتبار التوحيد "استغراباً" والشرك "استشراقاً" معكوساً هو أمر مستمد من الموقف المناوئ للغرب أو القومية المعاصرة، فإن بوسعنا الحكم على أن المنطق الذي يقبع وراء الخطاب في اليابان هو أقرب إلى نموذج الإحلال، إن مرد هذا الأمر هو أن الثقافة الغربية في التاريخ الياباني الحديث، على غرار عبادة الأصنام قد نظر إليها على أنها شيء لابد من التغلب عليه بسبب ماديته وفرديته "الشريرة" من جهة، في حين اتخذ التشديد على بهاء الروح التقليدية اليابانية وإعادة ترتيب نظام الإمبراطور ومذهب الشنتو القومي بطريقة تتسم بالشرك، دور المبدأ في الروح اليابانية، من الجهة الأخرى.[26]

فضلاً عن ذلك، يمكن رؤية الخطاب حول التوحيد والشرك على أحسن وجه على أنه جمع بين نمطي القلب والإحلال في ضوء الإبهام المتزايد في الحدود بين التاريخ الغربي والتاريخ الياباني في عالم اليوم، وعند التطلع إلى الخطاب بهذه الطريقة، سوف نكون قادرين على تقفي مسالك التطور الخطير لنزعات ما بعد الحداثة (نقد ما هو حديث بواسطة القلب) في عملية التحديث (إعادة تنظيم القيم التقليدية بواسطة نمط الإحلال) بسهولة أكبر وقادرين كذلك على تمييز السبل المقتفاة تكراراً في خطاب الحاضر.

قمت بالتماس السياق الضروري من أجل تفسير صحيح للخطاب حول التوحيد والشرك وذلك بالتركيز على عبادة الأصنام، إذ لا يمكن فهم عبادة الأصنام بشكل كامل في ضوء الأديان التوحيدية فقط؛ إن مجمل معناها يصبح بالأحرى مرئياً عندما يتم ربطها مع العالم الذي يقع خارج الأديان التوحيدية "عالم الهرطقة،" إن علينا أن نعي على الأقل حقيقة أنه ليس بوسع أي دروس أو صيغ مساعدتنا على تجنب عبادة الأصنام، كما ناقشت سابقاً فيما يتعلق بعمل تيليش، تنطوي الأديان التوحيدية بشكل متأصل على خطر عبادة الأصنام وعلى

التوترات التي يسببها مثل هذا الخطر. لم يكن بوسع الأديان التوحيدية أن توجد دون التوترات إن عبادة الله وعبادة الأصنام متلازمتان معا منذ عهد الكتاب المقدس على صعيد المفهوم، وفي الحياة الدينية، وتبرز الخطب العنيفة عندما يتم "إسناد خطر عبادة الأصنام إلى عوامل خارجية" ويفرض على "الآخرين" دون الإقرار بهذا التلازم.

٣ الجوانب المتنوعة للعنف البنيوي في سياسة الواقع

٣-١ عبادة الأصنام غير المرئية والعنف البنيوي

عندما يتم تحويل العديد من الأحداث إلى صور بصرية في العالم الحديث فإن بوسع مثل هذه الصور أن تصبح بما فيها من إمكانية "أصناماً" في وسائل الإعلام، وفي بعض الأوقات لا تشير الصور التي ابتدعت إلى الحقيقة بل تعمل بالأحرى "كأصنام" تخفي الحقيقة، اسمحوا لي بمناقشة هذه القضية في سياق سياسة الواقع في الحرب ضد الإرهاب.

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر /أيلول يطلق تعبير "الشرير" بكثرة في معرض الحديث عن الحرب ضد الإرهاب في الشرق الأوسط، حيث تعتبر المشاعر المعادية للأمريكيين قوية جداً، كما يطلق تعبير "الشرير" على أمريكا التي يفترض بأنها هي نفسها التي تشن حرباً للتغلب على "الشر،" وفي أي من الحالتين، هناك جانب تعزز فيه صورة "النزاع بين الخير والشر" هذه المشاعر العدائية بشكل متبادل، وقد كتب عالم الاجتماع الأمريكي .Robert N Bellah التعليقات التالية فيما يتعلق باللغة التي استعملها الرئيس بوش: "تعكس لغة بوش ،بشكل يدعو إلى الاستغراب، لغة أسامة بن لادن، الذي يؤمن هو أيضاً بأنه في حرب مع "الشر." إنها توحي بأننا في الحرب المديدة على الإرهاب سنشبه بطرق مختلفة المناوئين لنا.[27] "إن صور الخير والشر، كما يشير بيلا، تنعكس وتتوالد بسهولة، هذا ما يعتبر في الجوهر القوة الشيطانية لعبادة الأصنام. إذا كانت المادية، التي تمثلها الرأسمالية والإمبريالية وخاصة عندما تكون على شكل تدخل عسكري من جانب الولايات المتحدة، تلف نفسها بقوة التوالد وتؤثر على العالم برمته " وهي تقدم صور نموذجية عن "الغرب" في "الاستغراب" فإن رؤية الأشخاص الذين تضطهدهم المادية والإمبريالية لتلك القوة على أنها نوع من عبادة الأصنام يجب ألا تشكل مفاجأة وبعبارة أخرى يمكن "لعبادة الأصنام غير المرئية" أن تصبح أرضية مولدة للعنف البنيوي، ويلجأ الناس أحياناً إلى العنف الجسدي المباشر وذلك لمجابهة عنف بنيوي كهذا.

لما كان "العنف البنيوي" يعتبر تعبيراً معروفاً، خاصة في دراسات السلام، اسمحوا لي أن أقدم معنى هذا التعبير الذي عرّفه Johan Galtung الذي اعتقد بأنه يتعذر تحقيق السلام بمجرد التخلص من العنف الشخصي والمباشر؛ كما وسع فكرة العنف، فوفقاً لرأيه: يكون هناك عنف

إذا تم التأثير على الناس بطريقة ما لا يلبي فيها وعيهم الذاتي الفكري والجسدي المباشر وعيهم الذاتي الكامن في داخلهم بشكل كامل،[28] وهذا ما يطلق عليه غالتونغ تعبير "العنف البنيوي." إذا ما حرم المسلمون – في السياق الذي تمت مناقشته من قبل– من "الكرامة" البشرية المتأصلة أو سمح لهم بحرية أقل نتيجة للمادية أو الإمبريالية الغربية، حينئذ يبرز العنف البنيوي، وبهذا المعنى، يمكن "لعبادة الأصنام غير المرئية" أن تولد عنفاً بنيوياً، وقد يمارس أولئك الذين أضحوا على وعي بمثل هذا العنف البنيوي "عنفاً مباشراً" لتحطيم الأصنام.

اتخذت هذه الصيغة شكلها الأكثر تطرفاً في هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول الإرهابية، ففي أعين الإرهابيين ربما بدا مركز التجارة العالمي كـ"صنم" يجسد ثروات الرأسمالية وعنفها. وربما بدا البنتاغون كـ"صنم" يجسد القوة العسكرية، لهذا السبب وبالرغم من خسارة العديد من الأرواح الغالية، فقد تم الترحيب بالهجمات بابتهاج أثارته الرغبة في رؤية دمار هذه الأصنام، ترى ما الذي بوسعنا فعله لمنع تكرار تسخيف المعتقدات "تحطيم الأيقونات" الذي يجمع الفرح واليأس معاً؟!

٣-٢ الأخروية(الإيمان بالأخرويات) ونظرية الارتقاء

يتخذ الاستغراب على الدوام شكل الموقف المناوئ للغرب، بما أن الاستغراب يعمل على إبراز الصراع بين الثقافتين الشرقية والغربية فمن المحتم أن يدفع بالاختلافات الدينية إلى الواجهة، ويمكن لتحطيم الأصنام الذي كان في الأصل فعلاً دينياً أن يشاهد الآن حتى في المجالات السياسية أو الاجتماعية التي قد تكون نتيجة قوة التوالد المتأصلة في الوثنية، إذاً ما الذي يُؤمّن متسعاً كافياً لمثل هذا التوالد؟ سوف آخذ بالاعتبار هذا السؤال من حيث الأخروية (أي الإيمان بالآخرة والبعث بعد الموت وما يفرضه هذا الإيمان على الإنسان في حياته الدنيا) ونظرية الارتقاء (بمفهومها الواسع الذي يتعدى المفهوم البيولوجي إلى المجال الاجتماعي وغيره من مجالات الحياة).

غالباً ما تتحدث الأخروية عن العالم بكونه في حالة حرب قائمة بين الخير والشر، بهذه الرؤية للعالم كفرضية يمكن لأفعال العنف أن تبرر بالإيمان بأن العالم الآن هو في حالة حرب[29] وبعبارة أخرى هناك خطر في أن تعمل الأخروية كعنف بنيوي وذلك بإعطاء تبرير ديني للعنف الشخصي، إن بمقدور الأخروية بالطبع أن تلعب أيضاً دوراً بناءً في تقديم رؤى جديدة تتخطى النظام الاجتماعي القائم، كما تم البرهان عليه في لاهوت التحرير الذي برز في العالم المسيحي في الستينيات (١٩٦٠م). أكد Kanzo Uchimura أيضاً وهو داعية سلام ياباني ذائع الصيت، على الأخروية وبخاصة المجيء الثاني للمسيح في التماسه للسلام، ومن هنا

يمكن للأخروية بهذا المعنى أن تؤمن الذرائع لإنكار العنف، وقد تكون الأخروية، التي تستند إلى إنكار الواقع القائم، مبهمة تماماً بما أن بمقدور فرضيتها أن تُحوّل إما إلى طاقة نزاعية أو إلى طاقة للجهاد من أجل السلام، وإذا ما بقينا على وعي بهذا الإبهام فستصبح الآلية – التي ينقلب فيها الخير والشر أو، بحسب تعبير بيلا، الآلية التي يصبح فيها الصالح، الذي يفترض بأنه يقاتل ضد الشرير حتى يحقق السلام، مشابهاً للخصم – آليةً مرئية.

الأخروية هي رؤية عالمية وتاريخية شائعة في الأديان التوحيدية إلا أن تأثيرها يتغير في الشكل ليبرز حتى في العالم العلماني، والارتقاء هو مثال عن هذه الظاهرة. أنا لا أعني بما أشير إليه هنا على أنه "الارتقاء البيولوجي" بل هو بالأحرى الارتقاء الاجتماعي أو "الداروينية الاجتماعية" فالداروينية الاجتماعية تحاول تطبيق مقاربات الارتقاء –الصراع من أجل البقاء وبقاء الأصلح– على المجتمع البشري، ولّدت الداروينية الاجتماعية، التي تم تصورها في القرن التاسع عشر، علم تحسين الجنس البشري في بداية القرن العشرين، وهو العلم الذي يطبق مبادئ الارتقاء وعلم الوراثة على البشرية محاولاً تغيير أو "تحسين" قدر البشر الطبيعي، وبينما تحاول الأخروية تصوير القدر الإنساني المستند إلى فرضية وجود الله، فإن الداروينية الاجتماعية وعلم تحسين النسل يحاولان وصف قدر البشر والمجتمعات والأمم، في غياب الله، بهذا المعنى يمكن رؤية الارتقاء ،كما تمثله الداروينية الاجتماعية، على أنه شكل علماني من الأخروية المسيحية.

ولدت الداروينية الاجتماعية فهماً ارتقائياً للحضارات ببسيط العبارة، ومنذ بداية القرن العشرين تبنت المجتمعات الغربية عموماً مقاربة ترتيب الحضارات في موضع أدنى من الحضارة الأنكلوساكسونية، التي ينظر إليها على أنها ذروة الحضارة، و لهذا السبب نفسه وكما أن الأخروية تعمل أحياناً كـ"عنف بنيوي" تبريراً للعنف الشخصي، فإن بمقدور الارتقاء، بكونه قائماً فرضاً على ترتيب الحضارات، أن يحول إلى عنف بنيوي بناء على المحاكمة العقلية التي تقول بأن من الطبيعي للحضارات الأكثر تفوقاً أن تسود على الأدنى منها، وغني عن القول أن مثل هذه المقاربة قد استمرت في التأثير على سياسة الواقع مؤدية بذلك، من باب أولى، إلى مناصبة الأصنام العداء.

٤ النتائج

لم يكن الخطاب حول التوحيد والشرك، منذ الأزمنة القديمة وحتى المعاصرة، مقصورا على الأبعاد الدينية بما في ذلك فهم الله/الآلهة، إلا أن الخطاب وصل إلى العلاقة بين الدين والسيادة السياسية إضافة إلى المعايير والقيم في المجتمع، ويسألنا هذا الخطاب، ببسيط العبارة: أي قيم علينا اتباعها! ففي هذه الأيام يساند اقتصاد العولمة التحرر من أي قيمة معينة، في حين أن

المتدينين الأصوليين يشددون على أهمية القيمة التجاوزية، وفي نفس الوقت تتعرض الفكرة الحديثة عن الدولة "الأمة" إلى هجوم قوي من كلا الجانبين.

يُنظر إلى القيم التقليدية الثابتة بالنسبة للغرب الحديث، وبخاصة تلك التي تستند إلى الدين على أنها "أصنام" لابد من تحطيمها، وينظر الناس الذين يُقوّمون القيم الدينية تقويماً عالياً، مثل الإسلاميين المتشددين، إلى موجة الحداثة الغربية، التي تشدد تشديداً كبيراً على السيادة البشرية، على أنها "صنم" لابد من تجنبه، ونتيجة لذلك فإن كلا التجسيدين للتنكر للمعتقدات "تحطيم الأيقونات" يستفزان صراع قيم مع الآخر.

لا يُرى صراع القيم هذا فقط في العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، بل يُرى أيضاً في العلاقة بين أمريكا وأوروبا في سياسة الواقع، ففي أمريكا هناك عدد ليس بالقليل ممن يدعون إلى "حرية المعتقد" في حين أن"التحرر من الدين" قد اعتبر في أوروبا بأنه الفرضية التي يقوم عليها تشكيل الدولة الحديثة، وفي أمريكا يُعتقد أن هناك خطر صيرورة الأمة نفسها صنماً، وتتسنم الأديان دور حماية الأفراد من تدخل الأمة، ومن الجهة الأخرى كان الاعتقاد في أوروبا بعد عصر التنوير أن الأمة هي المسؤولة عن حماية الأفراد من تدخل الأديان، ومنذ ذلك الحين أضحى الناس يحترسون من السلطة الكامنة للأديان، وبالرغم من الصراع بين أفكار أساسية كهذه إلا أن أمريكا وأوروبا ملتزمتان بتشجيع التسامح مع قيم الثقافات المتعددة، إلا أنه صار جلياً في نفس الوقت أن التسامح الذي تنطوي عليه التعددية الثقافية لن يؤدي إلى حل صدام القيم المعاصرة بسلاسة، ومرد ذلك هو وجود العديد من الناس في أوروبا وكذلك في أمريكا ممن يتخذون موقفاً مرتاباً وعدائياً من عهد التنوير الذي ولد بالفعل التعددية الثقافية ، ومن الواضح بشكل مماثل أننا لا نستطيع العثور على حلول ناجعة لهذه المشاكل بتكرار القول وحسب بأن الشرك أكثر "تسامحاً" من التوحيد..

أكدتُ في هذا البحث على أن العنف المباشر لسياسة الواقع، بما في ذلك الحروب والصراعات والهجمات الإرهابية ، يمكن أن يفهم جزئياً على أنه فعل مضاد للعنف البنيوي. إن عنفاً بنيوياً كهذا موجود بالفعل في الأبعاد الدينية، مثل عبادة الأصنام والأخروية وكذلك في الأبعاد الاجتماعية مثل الداروينية الاجتماعية، وإن من الأهمية بمكان ملاحظة مثل هذه التعددية في الأبعاد.

إن هذا العنف البنيوي متعدد الأبعاد مخبوء أيضاً في الخطاب حول التوحيد والشرك، هذا يعني بأن فهماً للشرك على أنه أديان مسالمة متعاونة يمكنها إسقاط عنف التوحيد يقع في محذور التطور إلى خطب عنيفة ينتج عنها التحامل والكراهية رغماً عن مراميها الأصلية ، وليس مرد هذا إلى أن المؤمنين بالأديان المشركة يتخذون موقفاً يسفه التوحيد ولكن لأن الخطاب نفسه، كمزيج من الاستغراب والاستشراق المعكوس، يستمر في توليد الوظائف

لاستبدال صورة ما أو توسيعها أو قلبها كما هي الحال في عبادة الأصنام، ويمكن تسريع عملية التوليد هذه بترتيب التوحيد في مستوى دون الإشراك في تراتبية ارتقائية، كما فعل Umehara وبغض النظر عما إذا كان ينظر إلى الحضارات التوحيدية على أنها تتفوق على الحضارات المشركة أو العكس، فإنه يمكن لصورة ثابتة مرتبة تراتبياً كهذه أن تقوم مقام أرضية مولدة لـ"عبادة الأصنام غير المرئية" وبالتالي إلى "العنف البنيوي" كما بحثت آنفاً.

لقد اخترت أن أتناول في هذا البحث قضية عبادة الأصنام كمنعرج للحيلولة دون تطور المناقشة حول التوحيد والشرك بشكل مباشر إلى خطاب في العنف، في حين يفهم النهي عن عبادة الأصنام عادة على أنه مبدأ حصري يميز تمييزاً حاداً بين التوحيد والشرك، فإن هذا البحث يركز بدلاً من ذلك على وظيفته البنيوية في تأمين صلة بين التوحيد والشرك وربطهما الواحد بالآخر، وبعبارة أخرى لقد تجنبت طريقة إسناد خطر عبادة الأصنام إلى البيئة أو إلى عوامل خارجة عن النفس وإقحامها على "الآخر" أو على الشرك، وبمقتضى ذلك، فأنا لم أجادل ضد صورة الشرك على أنه شكل متسامح من أشكال الدين يظهر في كثير من الأحيان في الخطاب حول التوحيد والشرك مشيراً إلى البرهان الذي تقدمه التغيرات التاريخية المتعددة،[30] بل واجهت بدلاً من ذلك المشكلة البنيوية المتأصلة في الخطاب، وألمحت من خلال هذه العملية إلى حقيقة أن هذا النوع من الخطاب يتضمن بحد ذاته خلفية اليابان التاريخية المحددة، وأنه أيضاً يعكس بعض المشاكل العالمية لمجتمع دولي كان عاجزاً عن السيطرة تماماً على نشوء خطاب عنيف.

الحواشي

[1] Takeshi Umehara, *Mori no Shisou ga jinrui wo sukuu* (Shogakukan,1995),p.158.

[2] Keiji Iwata, *Kami to Kami... Animism Uchuu no Tabi (*Kodansha,1989), p.280.

[3] Soho Machida, *jutsugoteki Ronri to 21 Seiki*, (Aimai no Chi, ed. Hayao Kawai and Shinichi Nakazawa, Iwanami Shoten, 2003), p.138.

[4] Ken Sakamura, *Ubiquitous Computer Kakumei- jisedai Shakai no Sekai Hyjum* (Kadokawa Shoten,2002),p.13.

[5] Shu Kishida and Toru Kotaki , *America no Seigi-byo, Islam no Genri-byo- Isshinkyo no Byori wo Yomitoku* (Shunjusha,2002),p.236

[6] Takeshi Yoro, *Baka no Kabe* (Shinchosha,2003),pp.193-195.

المقصود الإيمان بمذهب وحدانية الكون (monism)، أما الثنوية (dualism) فهي الإيمان بأن الكون يتكون من مادة وقوى روحانية عطمى كما أن الإنسان يتكون من جسد وروح والثنوية تنطبق على أمور أخرى كثيرة

[7] Regina M. Schwartz, *The Curse of Cain: The Violent Legacy of Monotheism* (Chicago, The University of Chicago Press, 1997), p.16.

[8] - ibid., p. 20.

[9] - ibid., p.176.

[10] - David Hume, Dialogues Concerning Natural Religion and the Natural History of Religion, ed. J.C.A. Gaskin (New York, Oxford University Press, 1983), pp.26-32.

[11] - N. Machiavelli, *The Discourses*, trans. L. J. Walker (Harmondsworth, Penguin Books), pp.277-280.

[12] - Jean Jacques Rousseau, *The Social Contract,* trans. M.Cranston (Harmondsworth, Penguin Books, 1982), pp.176-187.

[13] - Friedrich Wilhelm Nietzsche, *Twilight of the Idols* (*Nietzsche Zenshu*, Vol.4, Hakusuisha, 1987), pp.11-155, mainly pp.49-56.

[14] - Edward W. Said, *Orientalism*, Vol. 1 ed. Yuzo Itagaki and Hideaki Sugita, trans. Noriko Imazawa, Heibonsha, 1993), p.100.

[15] - ibid., pp. 59-60.

[16] - " يماثل (الاستشراق المعكوس)، الذي جرت مناقشته في هذا البحث، الأصولية بمعنى أعم. يتمسك كينيتشي ماتسوموتو، على سبيل المثال، بالقول بأن الأصولية هي مسار أيديولوجي لمقاومة الغرب= الحداثة ووضع مبدأ تمدني لتجاوز الغرب. (*Genrishugi-Fundamentalism*, Fujinsha, 1992,p.9)" يعتبر هذا الفهم قابلا" أيضا" للتطبيق على الاستشراق المعكوس. مع ذلك فإن التعامل مع (الأصولية) على أنها مرتبطة بالاستشراق أو الاستغراب قد يسبب تشويشا" في المفهوم. لذا فإنني اخترت في هذا البحث استعمال تعبير (الاستشراق المعكوس) بدلا" من الأصولية رغبة في التبسيط.

[17] -آريا ساماج هي منظمة دينية تم تأسيسها في بومباي عام ١٨٧٥. عمدت هذه المنظمة من أجل حماية الديانة الهندوسية من عدوان الغرب إلى التنديد بتعددية الآلهة الهندوسية وعبادة الأصنام فيها، وشجعت على عقيدة توحيدية، تتمسك بأن الآلهة المستدعاة في الفيدا Vedas هي مظاهر مختلفة لإله واحد براهمان (Tadashi Ogawa, Genri–Shugi towa Nanika- America, Chuto Kara Nihon made, Kodansha 2003,pp. 163-164). مما يثير الاهتمام أن محاولة دمج آلهة مشركة في إله واحد تنطوي على شبه ما لحركة اليابان القومية في العصر الحديث.

[18] - Paul Tillich, *Systematic Theology*, Vol.1 (Chicago, University of Chicago Press, 1951), p. 13.

[19] - Moshe Halbertal and Avishai Margalit, *Idoratry*, trans. N. Goldblum (Cambridge, Harvard University Press, 1992), pp. 242-250.

[20] - Francis Bacon, Novum Organum, trans. Juichi Katsura (Iwanami Shoten, 1978), pp. 82-86.

من أجل الدقة فإن ما يعنيه بيكون بكلمة (Idola) هو (الخيال) أو (الوهم) ولا أعتقد أنه من المناسب ترجمة الكلمة ب (الصنم).

[21] - *Writings of the Young Marx on Philosophy and Society*, trans. L. D. Easton and K. H. Cuddat (New York, Doubleday, 1967), pp. 245-246,

كما تم الاستشهاد بها في Halbertal and Margalit, *Idolarty*, p. 241.

[22] - Ludwig Wittgenstein, *The Big Typescript*, Manuscript 213 and 413,

كما تم الاستشهاد بها في Halbertal and Margalit, *Idolarty*, p. 244.

[23] - Halbertal and Margalit, *Idolatry*, p. 241.

[24] - Hiroshi Ichikawa, *Yudaya-kyo-no seisinkozo* (University of Tokyo Press), 146.

[25] - يرى نمط التوسع، بالنسبة للإسلام بمفهوم "الجاهلية." كانت كلمة الجاهلية تعني في الأصل عصر الجهل قبل أن ينزل الوحي بالإسلام دينا" للبشر على النبي محمد. إلا أن هذا التعبير قد أعيد تعريفه في القرن العشرين على أنه يعني 'حالة من حالات المجتمع يمكن أن توجد في أي زمان' وجاء بإلهام من أفكار المودودي وسيد قطب. إن ما رمى إليه المسلمون من وراء القيام بذلك هو مقاومة العلمانية و التغريب، وبهذا المعنى، فإن الجاهلية في العصر الحديث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستغراب.

[26] - Ian Buruma and Avishai Margalit s Occidentalism: A Short History of Anti-Westernism (London, Atlantic Books, 2004),

الكتاب يناقش مثل هذا الجانب في التاريخ الياباني المعاصر من وجهة نظر ما يمكن أن نطلق عليه التغريب ويقدم مقارنة ممتعة مع حالات أخرى.

[27] - Dissent from the Homeland: Essays after September 11 (The South Atlantic Quarterly 101:2) (Durham, Duke University Press, 2002), p.261.

[28] - Johan Galtung, Kozoteki Boryoku to Heiwa, trans. Sakio Takayanagiet al., (Chuo University press, 1991), p.5.

[29] - أطلق Mark Jurgensmeyer على مثل هذه الحالة من الحرب اسم (الحرب الكونية) وأشار إلى أنها ليست فقط وراء العنف بل أنها تشكل أيضا" سببا" لممارسة العنف. انظر عمل Jurgensmeyer .

Terror in the Mind of God: The global Rise of Religious Violence (Berkely, University of California Press, 2000), pp.145-163.

[30] -يتضمن البرهان الذي ينكر تسامح المجتمعات المشركة الحقائق التي تقول بأن أقصى الإجراءات المناوئة للمسيحية قامت بها منظمة توكوغاوا شوغونات وأن عددا" غير قليل من شيع دين الشنتو والذي ينظر إليه على أنه الممثل للأديان المشركة، قد اتخذ موقفا" لرفض الأديان الأخرى في اليابان وفي الخارج في العصر الحديث. يشير Nobutaka Inoue إلى حقيقة أن دين الشنتو العلماني قد اتخذ موقفا" عدائيا" من المسيحية في العصر الحديث، كما يشير في نفس الوقت إلى أن لمذهبي شينتو المزارات و الشنتو العلماني وديانات جديدة تعود في أصلها إلى دين الشنتو في العصر الحديث مستويات مختلفة من التسامح، تدل على التفاوت ضمن تقليد الشنتو. انظر نوبوتاكا في

Nobutaka Inoue, *Kindai Shinto no System to Shukyoteki Kanyo (Shukyo to Kanyo- Ishukyo Ibunka no Taiwa ni Mukete*, ed. Seiichi Takeuchi and Akio Tsukimoto, Daimedo, 1993), pp.125-144.

بمقتضى ذلك يتضح بأننا لا نستطيع ببساطة أن نصنف دين الشنتو على أنه (دين مشرك متسامح).

يتناول عمل Koji Suga.

Koji Suga, *Nihon Tochika no Kaigai Jinja- Chosen jingu, Taiwan jinja to Saishin* (Kobundo, 2004)

قضايا الزيارات الإجبارية للمزارات الشنتوية في العالم الشرق آسيوي الأعظم، وتدمير المزارات الشنتوية فيما وراء البحار في نهاية الحرب العالمية الثانية بالتفصيل.